



مَجْلَدُ السِّيَرَةِ فِي الطَّبِّ وَالْطَّلَالِ



أَبُو الْقَاسِمِ الزَّهْرَاوِيُّ



تأليف

فوزي خنجر

الطبعة الأولى

نشر دار النشر

دار النشر



مكتبة السيد في الرب والملك



أبو القاسم الزهرأوي



كتب عربي
(شراء) مكتب القاهرة

رقم التسجيل ٦٥٤٤١

مكتبة السيد في الرب والملك

مكتبة السيد في الرب والملك

مكتبة السيد في الرب والملك

BIBLIOTHEQUE ALEXANDRINE
مكتبة الإسكندرية

الناشر : مكتبة ومطبعة الغد

العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - إمبابة - جيزة

تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢

رقم الإيداع : ٩٩ / ٨٣١٠٠

التسجيل الدولي : 8 - 28 - 5819 - 977

رسم وإخراج في : ماهر عبد القادر

خطوط : مصطفى عمري

مراجعة لغوية : حمزة عبد المنعم الزمر

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة

الطبعة الأولى : صفر ١٤٢٠ هـ - يونيو ١٩٩٩ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَارَ الْفَتَى أَبُو الْقَاسِمِ
خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ الزَّهْرَاوِيَّ فِي
حَدِيقَةِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ ،
الْقَرْيَةِ مِنْ قَرْطَبَةِ عَاصِمَةِ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ (الَّتِي هِيَ أَسْبَانِيَا
الْآن) وَنَظَرَ إِلَى الْأَشْجَارِ
وَالْأَزْهَارِ وَالطُّيُورِ ، يَتَأَمَّلُهَا
وَهُوَ يَتَفَكَّرُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - فِي خَلْقِ كُلِّ مَا فِي
الْحَيَاةِ ، كَانَ عُمَرُ الزَّهْرَاوِيَّ
آنَ ذَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا ، فَهُوَ
مِنْ مَوَالِيدِ سَنَةِ (٣٢٤)
ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
هَجْرِيَةِ الْمَوَافِقَةِ (٩٣٦) مِيلَادِيَّةٍ ،
وَكَانَ يَشْغَلُهُ كُلُّ مَا يَرَاهُ ،





تَعَجَّبَ مِنْ أَشْكَالِ الْأَشْجَارِ
الْمُخْتَلِفَةِ ، وَمِنْ أَلْوَانِ الْأَزْهَارِ
الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَمِنْ تَغْرِيدِ الطُّيُورِ
الْجَمِيلَةِ .

لَكِنَّ تَفْكِيرَهُ عَادَ بِهِ سَرِيعًا
إِلَى الْمَوْضُوعِ الرَّئِيسِيِّ الَّذِي
يَشْغُلُ بَالَهُ ، أَلَا وَهُوَ جِسْمُ
الْإِنْسَانِ ، وَرَأَى أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَتَجَلَّى
فِي ذَلِكَ الْجِسْمِ الْعَجِيبِ .
إِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ مَذْهَلَةً حَقًّا . . .
الْعَيْنُ الَّتِي تَرَى ، وَالْأُذُنُ الَّتِي
تَسْمَعُ ، وَالْأَنْفُ الَّتِي يَشُمُّ ،
وَالْحَلْقُ وَالْمَعْدَةُ ، الْبِضْنُ
وَالظَّهْرُ ، وَالرَّأْسُ ، وَالْيَدَانِ
وَالْقَدَمَانِ ، إِنَّ كُلَّ عَضْوٍ مِنْ





أَعْضَاءُ جِسْمِ الْإِنْسَانِ يَتَكَوَّنُ
مِنْ جُزْئِيَّاتٍ صَغِيرَةٍ كَثِيرَةٍ ،
تُعِينُهُ عَلَى آدَاءِ عَمَلِهِ وَالْقِيَامِ
بِوُظَيفَتِهِ .

كَبُرَ الزَّهْرَاوِيُّ . . . وَدَرَسَ
الطَّبَّ وَالصَّيْدَلَةَ ، وَعَمَلَ فِي
الْمَجَالِ الَّذِي يَهْتَمُّ بِهِ ، وَهُوَ
جِسْمُ الْإِنْسَانِ ، وَأَرَادَ أَنْ
يَعْرِفَ خَبَايَا هَذَا الْجِسْمِ
الْعَجِيبِ فَدَرَسَ التَّشْرِيحَ
دِرَاسَةً مُتَعَمِّقَةً ، وَانْتَقَلَ إِلَى
قَرْطَبَةِ الْعَاصِمَةِ حَيْثُ عَمَلَ
فِي الْمُسْتَشْفَى الْكَبِيرِ هُنَاكَ ،
وَرَأَى حَالَاتَ مَرَضِيَّةٍ مُتَوَّعَةٍ ،
وَوَجَدَ أَنَّ بَعْضَهَا يَحْتَاجُ إِلَى
إِجْرَاءِ عَمَلِيَّاتٍ جِرَاحِيَّةٍ ،
حَتَّى يَتِمَّ الشِّفَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ .





حِينَذَاكَ بَدَأَ اهْتِمَامُ الزَّهْرَاوِيِّ
بِالْجِرَاحَةِ ، فَدَرَسَ الْعَمَلِيَّاتِ
الَّتِي أَجْرَاهَا الْأَطْبَاءُ قَبْلَهُ عَلَى
مَرِّ الْعُصُورِ ، فَوَجَدَ أَنَّهَا
كَانَتْ تُجْرَى بِطَرِيقَةٍ بَدَائِيَّةٍ ،
تُعَرِّضُ الْمَرِيضَ لِكَثِيرٍ مِنْ
الْآلَامِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمَضَاعَفَاتِ
الَّتِي تُوَدَّى إِلَى فَسْلِهَا فِي
مُعْظَمِ الْحَالَاتِ ، وَوَجَدَ أَنَّ
الْأَطْبَاءَ كَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى
كَثِيرٍ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ
الْجِرَاحِيَّةِ ، لِذَلِكَ قَرَّرَ
الزَّهْرَاوِيُّ أَمْرَيْنِ ، أَوَّلُهُمَا :
أَنْ يَجْتَهِدَ فِي اخْتِرَاعِ آلَاتِ
جِرَاحِيَّةٍ تُعِينُ الطَّبِيبَ عَلَى
إِجْرَاءِ الْعَمَلِيَّاتِ الْمَخْتَلِفَةِ ،





وثانيهما : أَنْ يُؤَلَّفَ كِتَابًا يَشْتَمِلُ عَلَى
جُزْءٍ نَظَرِيٍّ فِي الطَّبِّ ، وَعَلَى جُزْءٍ آخَرَ عَنِ الْجِرَاحَةِ الَّتِي كَانُوا
يُسَمُّونَهَا (عَمَلُ الْيَدِ) ، يَذْكُرُ فِيهِ الْعَمَلِيَّاتِ الْجِرَاحِيَّةَ الَّتِي
يَنْوِي إِجْرَاءَهَا .

وَرَأَى الزُّهْرَاوِيُّ أَنَّ أَيَّ طَبِيبٍ بَارِعٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَ دَوَاءً
لِمَرِيضٍ مَا ، وَلَكِنْ هُنَاكَ حَالَاتٌ لَا يَصْلُحُ فِيهَا الدَّوَاءُ ، وَإِنَّمَا
تَسْتَلْزِمُ أَنْ يَقُومَ الطَّبِيبُ بِفَتْحِ بَطْنِ الْمَرِيضِ ، مِثْلَ الْخُرَاجِ
الَّذِي يُصِيبُ الْكَبِدَ ، وَالْحَصَى الَّذِي يَتَكَوَّنُ فِي الْمَثَانَةِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْإِصَابَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، لِهَذَا قَرَّرَ الزُّهْرَاوِيُّ أَنَّ يَجْتَهِدَ فِي
اِفْتِحَامِ مَجَالِ الْجِرَاحَةِ ، مُتَّسِلًا بِالْعِلْمِ الْوَافِرِ وَالِدَقَّةِ الْمُنْتَاهِيَةِ
وَالرَّغْبَةِ الْجَارِفَةِ فِي التَّخْفِيفِ عَنِ الْمَرَضَى .

وَبَدَأَتْ سِلْسِلَةُ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الْجِرَاحِيَّةِ ، أَصَابَتْ الْأَطِبَّاءَ
بِذَهْوَلٍ مِنْ دِقَّةِ الزُّهْرَاوِيِّ فِي إِجْرَاءِ كُلِّ عَمَلِيَّةٍ تَصْدَى
لِإِجْرَائِهَا ، وَعَمَّتِ الْفَرَحَةُ قُلُوبَ الْمَرَضَى وَقُلُوبَ أَهْلِيهِمْ ، فَقَدْ
خَفَّفَ مُعَانَاتِهِمْ وَالْأَمَّهُمْ .





عَادَ الزَّهْرَاوِيُّ إِلَى مَدِينَةِ
 الزَّهْرَاءِ ، فَعَمِلَ فِي الْمُسْتَشْفَى
 الْمَوْجُودِ بِهَا ، وَسَعَى النَّاسُ
 إِلَيْهِ مِنْ كَافَّةِ الْأَرْجَاءِ ، إِذِ
 امْتَدَّتْ شُهْرَتُهُ إِلَى الْبِلَادِ
 الْمَخْتَلِفَةِ ، وَجَاءَ طُلَّابُ الْعِلْمِ
 مِنْ بُلْدَانِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ
 لِيَكُونُوا تَلَامِيذًا لَهُ ، كَمَا جَاءَ
 إِلَيْهِ طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنْ أُورُوبَا ،
 فَقَدْ كَانَ أَكْبَرَ الْجُرَاحِينَ فِي
 عَصْرِهِ ، وَكَانَ فُقَهَاءُ الْأَنْدَلُسِ
 يَقْبَلُونَ الْجِرَاحَةَ بِتَحَقُّظٍ شَدِيدٍ ،
 بَيْنَمَا كَانَ الْأُورُوبِيُّونَ يُحَرِّمُونَ
 إِجْرَاءَ الْعَمَلِيَّاتِ الْجِرَاحِيَّةِ ،
 وَكَانَ الزَّهْرَاوِيُّ صَاحِبَ الْمَكَانَةِ
 الْعُلْيَا فِي هَذَا الْمَجَالِ فِي
 الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ شَرْقِهِ وَغَرْبِهِ .





۱۲





ومع ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَلْجَأُ إِلَى الْجِرَاحَةِ إِلَّا إِذَا عَجَزَتِ الْعَقَاقِيرُ
الطَّبِيبَةُ عَنْ الْعِلَاجِ ، وَكَانَ الزَّهْرَاوِيُّ يُحَذِّرُ الْأَطِبَّاءَ مِنْ إِجْرَاءِ
الْعَمَلِيَّاتِ الْجِرَاحِيَّةِ ، إِلَّا إِذَا كَانُوا عَارِفِينَ بِصَغَائِرِ الْأُمُورِ
وَكِبَائِرِهَا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلَاتِ الْجِرَاحِيَّةِ ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِالتَّشْرِيحِ ،
لَأَنَّ الْخَطَأَ فِي الْجِرَاحَةِ يَصْنَعُ عِلَاجَهُ ، وَأَحْيَانًا يَسْتَحِيلُ .

وَقَدْ طَوَّرَ الزَّهْرَاوِيُّ الْأَلَاتِ الْجِرَاحِيَّةَ الْمَصْنُوعَةَ مِنَ الْحَدِيدِ
وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَاخْتَرَعَ آلَاتٍ لَمْ تَزَلْ مُسْتَحْدَمَةً إِلَى يَوْمِنَا
هَذَا ، لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ شَيْئًا مِثْلَ خَافِضِ اللِّسَانِ ، وَقَدْ
اسْتَعْمَلَ خَيَوطَ الْحَرِيرِ لِلرَّبْطِ فِي الْعَمَلِيَّاتِ الْجِرَاحِيَّةِ ، وَتُحَدِّدُ
(د . زيجريد هونكة) الْأَلْمَانِيَّةُ إِنْجَازَاتِ الزَّهْرَاوِيِّ فِي كِتَابِهَا
« شَمْسُ الْعَرَبِ تَسْطَعُ عَلَى الْغَرْبِ » فَتَقُولُ :

دَرَسَ الزَّهْرَاوِيُّ تَشَوُّهَاتِ النِّقَمِ وَالْفُكِّ ، وَاسْتَنْصَالَ الْأَوْرَامِ
اللِّبْيَةِ فِي الْأَغْشِيَةِ الْمُخَاطِيَّةِ ، وَتَجَحَّ فِي عَمَلِيَّةِ شَقِّ الْقَصَبَةِ
الْهَوَائِيَّةِ - الَّتِي تُنْقِذُ حَيَاةَ مَرِيضٍ (الدفتيريا) وَوَقَّفَ فِي إِيقَافِ
نَزِيفِ الدَّمِ بَرَبْطِ الشَّرَائِينَ الْكَبِيرَةِ ، وَهُوَ فَتَحَ عِلْمِيَّ كَبِيرٌ ادَّعَى
تَحْقِيقَهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ الْجَرَّاحُ الْفَرَنْسِيُّ الشَّهِيرُ (بَارِي) ، فِي حِينِ



أَنَّ الزهراوى حَقَّقَهُ وَعَلَّمَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِحَوَالَى (٦٠٠) سَنَةً ،
كَمَا أَنَّهُ عَلَّمَ تَلَامِيذَهُ كَيْفِيَّةَ تَخْيِيطِ الْجُرُوحِ بِشَكْلِ دَاخِلِيٍّ ، لَا
يَتْرُكُ شَيْئًا مَرْتَبًا مِنْهَا ، وَعَلَّمَهُم كَيْفِيَّةَ التَّخْيِيطِ بِإِبْرَتَيْنِ وَخَيْطٍ
وَاحِدٍ مُثَبَّتٍ بِهِمَا ، وَاسْتَعْمَلَ الْخِيُوطَ الْمُسْتَمَدَّةَ مِنْ أَمْعَاءِ
الْقِطَاطِ فِي جَرَاحَاتِ أَمْعَاءِ الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ أَوْصَى فِي كُلِّ
الْعَمَلِيَّاتِ الْجَرَاحِيَّةِ فِي الْجِزْءِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُرْفَعَ
الْحَوْضُ وَالْأَرْجُلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ اقْتِبَسَتْهَا أُرُوبَا
مُبَاشَرَةً عَنِ الزُّهْرَاوِيِّ الْجَرَّاحِ الْعَرَبِيِّ ، وَلَمْ تَرَكَ مُسْتَحْدَمَةً حَتَّى
يَوْمِنَا هَذَا ، وَعُرِفَتْ بِاسْمِ الْجَرَّاحِ الْأَلْمَانِيِّ الْقَدِيرِ (لِينْبُورْجِ)
دُونَ أَنْ تَذْكُرَ أَفْضَالَ الْجَرَّاحِ الْعَرَبِيِّ ، وَعَنِ الزُّهْرَاوِيِّ أَيْضًا
أَخَذْنَا طَرِيقَةَ تَرْكِ فَتْحَةٍ فِي رِبَاطِ الْجَبَسِ فِي الْكُسُورِ الْمَفْتُوحَةِ ،
وَأَمَدَّ الْجَرَاحِيْنَ وَأَطْبَاءَ الْعَيُونِ وَالْأَسْنَانِ الْأُورُوبِيِّينَ بِالْآلَاتِ
الْلازِمَةِ لِلْعَمَلِيَّاتِ ، بِوِاسْطَةِ الرُّسُومِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي وَصَفَهَا فِي
كِتَابِهِ الَّذِي أَسْمَاهُ : " التَّصْرِيفُ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ التَّأَلِيفِ " .

هَكَذَا يَنْظُرُ الْعُلَمَاءُ الْعَالَمِيُّونَ إِلَى الزُّهْرَاوِيِّ عَبَقَرِيَّ
الْجَرَاحَةِ ، الَّذِي أَصَحَّحَ أَسْتَاذًا لِعُلَمَاءِ أُرُوبَا - مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ -
لِمُدَّةِ خَمْسَةِ قُرُونٍ ، كَانَ أَثْنَاءَهَا هُوَ الْكِتَابُ الْمَعْتَمَدُ فِي مَجَالِ



الجراحة ، لسهولة أسلوبه ، وكثرة رسومه للآلات التي
تُستخدم في العمليات الجراحية .

من الأمور المدهشة أن أبا القاسم الزهراوى قد أجرى
عمليات في مجال جراحة التجميل ، التي يعتقد كثير من
الناس أنها من العمليات الحديثة ، وإن دلّ هذا على شيء فإنما
يدلّ على عبقرية الزهراوى ، وأنه كان سابقاً لعصره . وكل
هذه الإنجازات العظيمة وغيرها ، ضمّها كتابه « التصريف لمن
عجز عن التأليف » الذي يقع في ثلاثين جزءاً ، وتمّت
ترجمته إلى كثير من اللغات .

لقد كان الزهراوى صاحب فكر جديد ، فهو الذي جعل من
الجراحة فرعاً طبياً ذا مكانة سامية بين فروع الطب ، وهو
واضع الأسس الحديثة لهذا العلم ، لذلك أطلقوا عليه في العلم
كله لقب : (أبو الجراحة) ، ولم يكن باستطاعة الزهراوى
تحقيق كل هذه الإنجازات دون اجتهاد وصبر وإقدام ، وإيمان
عميق بقُدرة الله - عزّ وجلّ - في خلقه ، إذ كان دائم التفكير
في خلق الله سبحانه وتعالى .

علاقة المسلمين في الحب

- ۱- ابن سینا
۲- أبو بکر الرازی
۳- أبو القاسم الزهراوی
۴- ابن النضیس
۵- الأھـوازی
۶- عبد اللطیف البغدادی
۷- أبو مروان بن زھر
۸- أبو بکر الحفید
۹- ابن رضوان المصنوع
۱۰- ابن أبی أصیہ